13

العلاقة بين العلم والدين

في نوع من التجربة التأملية يناقش فينمان مختلف وجهات النظر لِلجنة تَخَيُّلِيَّة ليُصوِّر تفكير العلماء والروحانيين ويبحث في نقاط الاتفاق والاختلاف بين العلم والدين ومتوقعاً، خلال عقدين من الزمن، الجدل الحالي النشط بين هاتين الطريقتين المختلفتين جذرياً في البحث عن الحقيقة. ومن بين الأسئلة الأخرى يتساءل فينمان هل يمكن للملحدين أن يكون لديهم أخلاق مبنيَّة على ما يخبرهم به العلم، بنفس الطريقة التي يستطيع بها الروحانيون الحصول على الأخلاق بالاستناد إلى إيمانهم بالله، وهو موضوع فلسفي غير عادي بالنسبة ليفنمان البراجماتي.

في عصر الاختصاص هذا، فإن الناس الذين يعرفون عن أحد المجالات بشكلٍ كامل هم غالباً غير أكفّاء ليبحثوا في مجالٍ آخر، ولهذا السبب فإن المشاكل الكبيرة في العلاقات بين مظهر وآخر من النشاط الإنساني بدأ يقل بحثها علناً وبصورة تدريجية، وعندما ننظر إلى النقاشات الكبيرة الماضية حول هذه المواضيع نشعر بالغيرة من تلك الأيام لأننا أحببنا الإثارة الناتجة عن مثل هذا الجدل، والمشاكل القديمة مثل العلاقة بين العلم والدين لا تزال تعيش بيننا، وأنا أعتقد أنها لا تزال تمثّل معضلاتٍ صعبة تماماً كما في الماضي ولكنها غالباً لا تُبحث علناً بسبب محدودية الاختصاص.

نظراً لأني كنت مهتماً بهذه المشكلة منذ زمنٍ طويل وأرغب في بحثها، ونظراً لقصور معرفتي وفهمي الواضحين جداً فيما يتعلق بالدين (والذي سوف يتّضح أكثر وأكثر كلما تعمّقنا في الموضوع) سأقوم بتنظيم النقاش على النحو التالي: سأفترض بأن مجموعة من الرجال ـ وليس رجلاً واحداً ـ هي التي تقوم ببحث المشكلة وأن هذه المجموعة تضم أخصائيين من مختلف الحقول ـ مختلف العلوم والديانات الخ... ـ وأننا سوف نبحث المشكلة من جوانب متعدّدة كما تفعل أي لجنة، وسيقوم كل طرف بعرض وجهة نظره والتي يمكن أن تسبك وتعدل من خلال النقاشات اللاحقة، كما أتخيّل أيضاً أحداً ما كان قد اختير من قبل المجموعة ليكون أول من يعرض آراءه

وعلى هذا الأساس فقد تم اختياري حسب هذه الطريقة لأكون أول المتحدثين.

سأبدأ بأن أواجه اللجنة بهذه المشكلة: رجلٌ يافع تربَّى في أسرة متديِّنة ودرس العلوم، ونتيجةً لذلك تولَّد لديه الشك ـ وربما الإنكار فيما بعد ـ في إله والده. إن هذا المثال الآن ليس مثالاً معزولاً أو فردياً فهو يحدث المرة تلو الأخرى، وعلى الرغم من عدم توفُّر الإحصائيات لدي عن هذا الموضوع لكني أعتقد أن كثيراً من العلماء ـ أعتقد في الحقيقة أن أكثر من نصف العلماء ينحو بهذا الاتجاه ـ ينكرون فعلياً إله والدهم أي أنهم لا يؤمنون بالإله بالمعنى التقليدي.

الآن وعلى اعتبار أن الإيمان بالله هو مظهرٌ جوهري بالنسبة للدين، فإن هذه المشكلة التي اخترتها تشير بقوةٍ إلى المشكلة في العلاقة بين العلم والدين فلماذا توصل هذا الشاب إلى عدم الإيمان؟

إن أول جوابٍ يمكن أن تسمعه بسيطٌ جداً: فكما ترى تعلَّم الشاب على أيدي العلماء وهم كلهم مُلحدون (كما أوضحت الآن) من داخلهم لذلك فإن الشر ينتقل من أحدهم إلى الآخر، ولكنك إذا استطعت أن استمتعت بوجهة النظر هذه فأنا أعتقد أنك تعرف القليل عن العلم بالمقارنة بما أعرفه عن الدين.

هناك احتمالٌ لجواب آخر يفيد بأن شيئاً قليلاً من المعرفة خطرٌ جداً وقد تعلَّم هذا الشاب شيئاً قليلاً وهو يظن بأنه قد تعلَّم كل شيء، لكنه سرعان ما يخرج من سذاجة السنة الثانية في الكلية ويُدرك أن العالم أكثر تعقيداً وسوف يبدأ من جديد في إدراك أنه لا بد من وجود إله.

لا أعتقد بضرورة خروجه من الموضوع، هناك كثيرٌ من العلماء ـ رجالٌ يريدون أن يسمُّوا أنفسهم بالناضجين ـ الذين لا يزالون يعتقدون بعدم وجود إله، وفي الحقيقة ـ كما أُريد أن أوضح فيما بعد ـ فإن الجواب ليس أن الشاب يظن بأنه يعرف كل شيء ولكن العكس هو الصحيح.

الجواب الثالث الذي يمكن أن تحصل عليه هو أن هذا الشاب فعلاً لا يفهم العلم بشكلٍ صحيح، وأنا لا أعتقد بأن العلم ينكر وجود الإله كما إني أعتقد بأن هذا أمرٌ مستحيل، وإذا كان مستحيلاً فهو ليس إيمانٌ بالعلم وبالإله ـ الإله التقليدي في الدين ـ وهذا احتمالٌ ثابت.

نعم إنه ثابت على الرغم من حقيقة أني قلت أن أكثر من نصف العلماء لا يؤمنون بالإله، لكن كثيراً منهم يؤمنون بالإله وبالعلم وبطريقة راسخة وبشكلٍ كامل، لكن هذا الرسوخ ـ على الرغم من كونه ممكناً ـ ليس من السهل الوصول إليه، وأحب هنا أن أجرِّب في بحث مسألتين: لماذا لا يكون من السهل الوصول إليه وهل يستحق الوصول إليه.

عندما أقول «الإيمان بالإله» فإن هذا الأمر طبعاً هو دائماً عبارة عن أحجية - من هو الإله؟ ما أعنيه هو نوعٌ من إلهٍ شخصي من النوع الذي يُميِّز الأديان الغربية: إلهٌ تصلي له وله علاقة بخلق الكون وبهدايتك من الناحية الأخلاقية.

عندما يتعلَّم الطالب هناك مصدران للصعوبة في محاولة دمج العلم والدين معاً، تتمثل الصعوبة الأولى في أنه من المستحسن في العلم الوصول إلى الشك وهو أمرٌ ضروري جداً حيث أنك لكي تتقدم في العلم يجب أن يكون الشك جزءاً أساسياً من طبيعتك الداخلية، ولكي نستطيع أن نتقدم من حيث الفهم فيجب علينا أن نبقى متواضعين وأن نعترف بأننا لا نعرف، إذ لا يوجد هناك أي شيءٍ مؤكَّد أو مثبَّت بعيداً عن كل شك. أنت تبحث بدافع الفضول لأن الشيء الذي تبحث عنه هو الشيء المجهول وليس لأنك تعرف الجواب، كما أن اكتسابك لمزيدٍ من المعرفة في العلوم لا يعني أنك اكتشفت الحقيقة ولكنك تكتشف أن هذا أو ذاك هو أقل أو أكثر احتمالاً.

أي إذا تعمَّقنا في البحث فإننا سنجد أن معطيات العلم لا تحتوي على ما هو صحيح وغير صحيح ولكنها بيانات تحتوي على ما هو معروف بدرجاتٍ مختلفة من الشك: «الأكثر احتمالاً أن هذا الشيء هو أصح من ذلك الشيء غير الصحيح» أو «أن ذلك الشيء هو مؤكَّد تقريباً ولكن لا يزال يوجد قليلٌ من

الشك» أو ـ على الطرف الأقصى الآخر ـ «حسناً نحن لا نعرف بشكلٍ مؤكد». إن كلاً من مفاهيم العلم موجودٌ على مقياسٍ مُدرج في مكانٍ ما بين طرفيه لكنه ليس موجوداً عند أحد الطرفين طرف الحقيقة المطلقة أو الزيف المطلق.

من الضروري كما أعتقد أن نقبل هذه الفكرة ليس من أجل العلم فقط ولكن لأشياء أخرى أيضاً حيث من الأميَّة بمكان الاعتراف بالجهل، فالحقيقة هي أنه عندما نقوم باتخاذ القرارات المتعلقة بحياتنا فنحن لا نعرف بالضرورة بأننا نقوم بذلك بشكلٍ صحيح حيث أننا نظن فقط بأننا نقوم بأفضل ما نستطيعه وهذا ما يتوجَّب علينا أن نفعله.

الموقف من الشك

أعتقد أننا عندما نعرف أن نعيش فعلاً في الشك فيجب علينا أن نعترف بذلك ومن الأهمية بمكان أن نُدرك أننا لا نعرف الأجوبة عن الأسئلة المختلفة. هذا الموقف للعقل ـ هذا الموقف التشكُّكي ـ هو حيويٌ للعالم وموقف العقل هذا، والذي يجب على الطالب أن يحصل عليه أولاً، يصبح عادةً بالنسبة للتفكير وعندما يتم الحصول عليه فلا يستطيع المرء أن يتراجع عنه أبداً.

ما يحدث عندئذٍ هو أن الشاب يبدأ بالشك في كل شيء لأنه لا يستطيع أن يتناول هذا الشيء كحقيقة مُطلقة، لذلك فان

السؤال يتغيَّر قليلاً من «هل هناك إله» إلى «ما هي درجة التأكُّد من وجود إله»، هذا التغيُّر الطفيف جداً هو شوطٌ كبير ويمثِّل مُفترق طرق بين العلم والدين. لا أعتقد أن العالم الحقيقي قد يستطيع أن يفكِّر بنفس الطريقة مرَّة أخرى أبداً، وعلى الرغم من وجود علماء يؤمنون بوجود إله، لكني لا أعتقد بأنهم يفكِّرون بالإله بنفس الطريقة التي يفكِّر بها المتدينون، وإذا كانوا راسخين في علمهم فإني أعتقد أنهم يقولون بينهم وبين أنفسهم: «أنا متأكِّد تقريباً من وجود إله وأن الشك في ذلك قليلٌ جداً» وهذا يختلف تماماً عن القول «أنا أعرف أن الإله موجود» أنا لا أعتقد أن هناك عالماً يصل إلى وجهة النظر هذه ـ هذا الفهم الديني الواقعي والمعرفة الحقيقية التي تقول بوجود الإله ـ أي ذلك التأكد المطلق الذي يعتنقه المتدينون.

من الطبيعي ألا تبدأ عملية الشك هذه دائماً بالهجوم على السؤال الذي يُشكِّك بوجود إله لأنه من المعتاد أن يبدأ الأمر أولاً بتدقيق التعاليم الدينية الخاصة مثل قضية الحياة بعد الموت، ولكن الأكثر أهمية هو التوجُّه مباشرةً إلى المشكلة الرئيسية بطريقة صريحة وبحث وجهة النظر الأكثر تطرفاً التي تُشكك بوجود الإله.

عندما يبعد السؤال عن المطلق ويبدأ بالهبوط على مقياس الشك عندها يمكن لهذا السؤال أن ينتهي في مواقع مختلفة جداً وفي كثيرٍ من الحالات ينتهي به الأمر لأن يكون قريباً جداً من

التأكد، ولكن من ناحية أخرى ـ بالنسبة للبعض ـ فإن حصيلة الفحص الدقيق لنظرية والده عن الإله يمكن أن يكون الادعاء بأنها خاطئة بشكلٍ مؤكدٍ تقريباً.

الإيمان بالإله وحقائق العلم

يوصلنا ذلك إلى الصعوبة الثانية التي يحاول بها طالبنا أن يدمج العلم مع الدين: لماذا تنتهي الأمور غالباً باعتبار أن الإيمان بالإله ـ الإله من النوع الديني على الأقل ـ هو غير منطقي أبداً وغير مُحتمل؟ أظن أن الجواب له علاقة بالأشياء العلمية ـ بالحقائق أو الحقائق الجزئية ـ التي يتعلّمها الإنسان.

فمثلاً إن حجم الكون هو رهيبٌ فعلاً وأننا موجودون على جسيم صغيرٍ جداً يدور حول الشمس التي هي واحدة من آلاف ملايين النجوم في مجرَّتنا والتي هي واحدة من مليارات المجرات.

مرة أخرى هناك العلاقة الوثيقة بين الإنسان البيولوجي والحيوانات وبين شكلٍ من أشكال الحياة وشكلٍ آخر. والإنسان هو آخر قادمٌ متأخر في دراما التطور، هل يكون الباقون عبارة عن هيكل من السقالات التي تمهِّد لخلقه؟

من جديد هناك الذرَّات التي تبدو كلها مبنيَّة حسب قوانين ثابتة ولا يمكن لشيء أن ينفكُّ عنها أبداً فالنجوم مصنوعة من نفس المادة والحيوانات مصنوعة من نفس المادة أيضاً ولكن في

خضم هذا التعقيد فإن كل ذلك يبدو حياً مثل الإنسان نفسه.

إنها لمغامرة عظيمة أن نمعن النظر في الكون إلى أبعد من الإنسان وأن نفكر فيما يعنيه هذا الكون بدون الإنسان كما كان حاله في الجزء الأعظم من تاريخه الطويل وكما هي حاله في كثيرٍ من الأماكن، وعندما يتم الوصول إلى هذه الفكرة الموضوعية في النهاية وعندما يتم الإعجاب بسر وعظمة المادة عندها يمكن أن تعود العين الموضوعية إلى الإنسان وتعتبره مادة، ولرؤية الحياة كجزء من اللغز الكوني ذي العمق الكبير فمعنى ذلك هو الإحساس بتجربة نادراً ما يمكن وصفها، وتنتهي هذه التجربة عادةً بالضحك والمتعة من الفشل في محاولة الفهم. إن وجهات النظر العلمية هذه تنتهي بالخشية والمهابة والغموض وتفقد عند الحافة في حالة من الشك ولكنها تبدو عميقة ومهيبة بحيث أن النظرية التي تقول أن الأمور رُتِّبَت ببساطة كمسرح يقوم الإله بمراقبة الإنسان في صراعه بين الخير والشر تبدو غير كافية.

لذلك دعونا نفترض أن هذه هي حالة طالبنا المعني وأن القناعات تنمو بحيث يؤمن أن الصلوات الفردية، مثلاً، لا تُسمع (أنا لا أحاول أن أدحض حقيقة الإله ولكن ما أحاوله هو إعطاء فكرة ـ وبعضاً من التعاطف مع ـ الأسباب التي تدعو الكثيرين للتفكير بأن الصلوات لا معنى لها)، ومن الطبيعي كنتيجة لهذا الشك فإن أسلوب الشك يتحول فيما بعد إلى

مشكلات أخلاقية لأنه في الدين الذي تعلّمه ترتبط المشكلات الدينية بكلمة الإله وإذا كان الإله غير موجود فما معنى هذه الكلمة؟ ولكن بالأحرى، وبصورة مفاجئة كما أعتقد، تخرج المشكلات الأخلاقية في النهاية سالمة، وربما يُقرّر الطالب في البداية بأن هناك أشياءً صغيرة خاطئة لكنه غالباً ما يقوم بعكس هذا الرأي فيما بعد وينتهي دون التوصل إلى وجهة نظر أخلاقية مغايرة بشكلٍ جذري.

يبدو أن هناك نوعٌ من الاستقلالية في هذه الأفكار. في النهاية من الممكن الشك بالإيمان بحزم أيضاً بأنه شيءٌ جيّد أن تُحسِن إلى جارك كما تريد أن يُحسِن إليك، ومن الممكن أن تحمل وجهتي النظر هاتين في نفس الوقت، كما أقول بأني أتمنّى أنكم ستجدون أن زملائي من العلماء الملحدين لهم أيضاً مكانَتَهم المرموقة في المجتمع.

الشيوعية ووجهة النظر العلمية

أُريد أن أعقّب باختصار على اعتبار أن كلمة «إلحاد» مرتبطة بشكلٍ وثيق «بالشيوعية». إن وجهات النظر الشيوعية هي مناقضة للعلم بمعنى أن في الشيوعية تُعطى الأجوبة عن كل الأسئلة ـ الأسئلة السياسية بالإضافة إلى الأخلاقية ـ بدون مناقشة وبدون وجود شك، ووجهة النظر العلمية هي عكس ذلك تماماً أي أنه يجب الشك في كل الأسئلة ويجب بحثها، يجب أن

نُجادل في كل شيء وأن نُلاحظ الأشياء وأن نفحصها وأن نغيرها، والحكومة الديمقراطية هي أقرب كثيراً إلى هذه الفكرة لأنه يوجد هناك نقاش وتوجد فرصة للتعديل ولا يُمكن للإنسان أن يطلق السفينة باتجاهٍ محدد. إن من الصحيح إذا كان لديك أفكارٌ استبدادية ـ بحيث تعرف بدقة ما الذي يجب أن يكون صحيحاً ـ أن تتصرَّف بحزم شديد وهذا يبدو جيداً ولكن لبرهة وجيزة ولكن سرعان ما تتجه السفينة نحو الجهة الخاطئة ولا يستطيع أحدٌ أن يغير الاتجاه بعد الآن، لذلك فإن شكوك الحياة في الدولة الديمقراطية هي ـ كما أظن ـ منسجمة بصورة أكبر مع العلم.

على الرغم من أن العلم له تأثيرٌ ما على كثيرٍ من الأفكار الدينية لكنه لا يؤثر على المحتوى الأخلاقي، وللدين جوانب متعدِّدة وهو يقوم بالإجابة عن كل أنواع الأسئلة ففي المقام الأول مثلاً يقوم بالإجابة عن أسئلة تتعلَّق بماهية الأشياء ومن أين أتت ومن هو الإنسان ومن هو الإله ـ خصائص الإله ـ وكل شيءٍ من هذا القبيل ـ دعني أدعو ذلك الجانب الميتافيزيقي من الدين ـ كما يُخبرنا أيضاً عن شيءٍ آخر فهو يُعلِّمنا كيف نتصرف.... دعونا من الفكرة المتعلِّقة بكيفية التصرُّف في بعض الاحتفالات الخاصة وما هي الطقوس الدينية التي يجب أن تُمارس أي أعني أن الدين يُخبرنا عن كيفية التصرُّف في الحياة بشكلٍ عام وبطريقة أخلاقية، ويُقدِّم أجوبة عن الأسئلة الأخلاقية

ويُعطي رمزاً أخلاقياً وخُلُقياً ودعوني أدعو ذلك بالجانب الخلقي من الدين.

نعرف الآن أنه حتى مع وجود القِيَم الأخلاقية فإن المخلوقات الإنسانية ضعيفة جداً حيث يجب أن تُذكر بهذه القيم كي تستطيع أن تتبع ضمائرها، وهي ليست ببساطة مسألة امتلاك الضمير الصحيح ولكنها أيضاً مسألة الحفاظ على القوة لتفعل ما تعتقده أنه صحيح ومن الضروري أيضاً أن يُعطي الدين القوة والانشراح والإلهام عند اتباع وجهات النظر الأخلاقية هذه، وهذا هو الجانب الإيحائي من الدين فهو يقدِّم الإلهام ليس للقيام بالممارسة الأخلاقية فحسب ولكنه يقدِّم الإيحاء الخاص بالفنون وبكل أنواع الأفكار والأفعال العظيمة.

التقاطعات

تتداخل هذه الجوانب الثلاثة للدين فيما بينها ويتم الشعور فيها بشكلٍ عام ـ بالنظر للتلاحم الوثيق للأفكار ـ بأن مهاجمة أحد جوانب هذا النظام هو مهاجمة للبُنية بكاملها، وهذه الجوانب الثلاثة تكون مرتبطة مع بعضها تقريباً على الشكل التالي: الجانب الأخلاقي والرمز الأخلاقي هو كلمة الإله التي تُدخلنا في التساؤل الميتافيزيقي ثم يأتي الإيحاء لأننا ننفِّذ إرادة الإله وأن الفرد هو لله بحيث يشعر بشكلٍ جزئي بأنه مع الله وهذا إلهامٌ كبير لأنه يصل أفعال الفرد بالكون الواسع المحيط فيه.

ترتبط هذه الأشياء الثلاثة ببعضها بشكلٍ وثيق وتكون الصعوبة على الشكل التالي: يصطدم العلم أحياناً مع أولى هذه الأصناف الثلاثة وهو الجانب الميتافيزيقي من الدين، فمثلاً دار في الماضي جدلٌ حول هل الأرض هي مركز الكون وهل تدور حول الشمس أم ثابتة وكان نتيجة كل ذلك ظهور انشقاقٍ وصراعٍ مُخيف لكنه حُلَّ في النهاية بتراجع الدين في هذه الحالة الخاصة، وفي الفترة الأخيرة دار الصراع حول قضية فيما إذا كان للإنسان أصولٌ حيوانية، كانت النتيجة في كثيرٍ من هذه الحالات تراجع وجهة نظر الدين الميتافيزيقية ولكن مع ذلك لم ينتهِ الدين والأكثر من ذلك لم يحصل أي تغييرٍ ملموس في وجهة النظر الأخلاقية.

وبعد كل هذا فإن الأرض تدور حول الشمس - أليس من الأفضل تدوير الخد الآخر؟ هل يؤدي دوران الأرض حول الشمس أم وقوفها ساكنة إلى وجود أي فرق؟. سوف يمكننا الجواب من توقُّع حدوث الصراع من جديد فالعلم يتطوَّر وسوف يتم اكتشاف أشياء جديدة تكون متناقضة مع النظرية الميتافيزيقية السائدة اليوم عند بعض الأديان، وفي الحقيقة وحتى مع وجود العديد من التراجعات الدينية السابقة لا يزال هناك صراعٌ حقيقي بالنسبة لبعض الأفراد المعينين عندما يتعلمون العلم وفي نفس الوقت سمعوا أشياء عن الدين، فالشيء لم

يتكامل بشكلٍ جيد بعد، وهناك صراعاتٌ حقيقية في هذا المجال وبالرغم من ذلك فلم تتأثر الأخلاق.

وفي الحقيقة فإن الصراع صعبٌ بصورة مضاعفة في هذا المجال الميتافيزيقي، أولاً: قد تكون الحقائق في صراع ولكن حتى إذا لم تكن الحقائق في صراع فإن الموقف مختلف، إن روح الشك في العلم هي موقفٌ موجهٌ نحو الأسئلة الميتافيزيقية التي تكون مختلفة تماماً عن اليقين والإيمان الذي يتطلَّبه الدين، هناك بالتأكيد صراع كما أعتقد ـ في كلٍ من الحقيقة والروح ـ حول الجوانب الميتافيزيقية للدين.

في رأيي لا يستطيع الدين أن يجد مجموعة من الأفكار الميتافيزيقية التي يمكن ضمان عدم تصارعها مع العلم الذي يتقدَّم ويتغيَّر باستمرار والذي يتجه نحو المجهول، نحن لا نعرف كيف نُجيب عن الأسئلة أي من المستحيل إيجاد الجواب الذي قد يكون خاطئاً في يوم من الأيام، وتنشأ الصعوبة لأن العلم والدين يحاول كلٌ منهما الإجابة على أسئلة تعود لنفس العالم.

العلم والمسائل الأخلاقية

من ناحية أخرى أنا لا أظن أن الصراع الحقيقي مع العلم سينشأ في الجانب الأخلاقي، لأني أعتقد أن المسائل الأخلاقية هي خارج نطاق مملكة العلم.

دعوني أطرح ثلاث أو أربع مسائل لأُظهر لماذا أنا أعتقد في هذا الأمر، في المقام الأول كان هناك صراعات في الماضي بين وجهة النظر العلمية والدينية حول الجانب الميتافيزيقي وبالإضافة إلى ذلك فإن وجهات النظر الأخلاقية القديمة لم تنهر ولكنها تغيرت.

وفي المقام الثاني هناك أناسٌ طيِّبون من الذين يتَّبعون الأخلاقيات المسيحية والذين لا يؤمنون بألوهية المسيح ويجدون أنفسهم على تضادٍ في هذا المجال.

وفي المقام الثالث على الرغم من أني أؤمن من أنه يوجد بين الحين والآخر دليلٌ علمي من النوع الذي يُمكن أن يفسِّر جزئياً على أنه يُعطي دليلاً ما عن جانبٍ معين يدور حول حياة المسيح، فمثلاً من بين الأفكار الميتافيزيقيةللأديان الأخرى يبدو لي بأنه لا يوجد دليلٌ علمي له علاقة مع القاعدة الذهبية ويبدو لي أن هذا الشيء مختلفٌ نوعاً ما.

دعونا نرى الآن فيما إذا كنت أستطيع أن أقوم بتفسيرٍ فلسفي متواضع لماذا يكون الأمر مختلفاً أي كيف لا يستطيع العلم أن يؤثر على القواعد الأساسية للأخلاق.

إن المشكلة الإنسانية النموذجية والتي يهدف الدين للإجابة عليها هي دائماً من النموذج التالي: هل يجب أن أفعل هذا؟ هل يجب أن نفعل هذا؟ هل يجب على الحكومة أن تفعل هذا؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن أن نقسّمه إلى شقين: الأول إذا فعلت ذلك فماذا سيحصل؟ ـ وثانياً ـ هل أريد هذا أن يحدث؟ وماذا سينتج عنه من حيث القيمة ـ ومن حيث الخير؟.

والآن يكون السؤال من الشكل: إذا فعلت هذا فماذا سيحدث؟ هو علميٌ تماماً، وفي الحقيقة يمكن أن يعرّف العلم على أنه طريقة ووعاء للمعلومات التي يمكن الحصول عليها بواسطتة ـ وهو يحاول الإجابة فقط عن الأسئلة التي يمكن أن توضع ضمن الشكل التالي: إذا فعلت ذلك فماذا سيحصل؟ والناحية العملية في ذلك تكون بصورة أساسية على الشكل التالي: جرّب وشاهد. ثم تقوم بتجميع كمية كبيرة من المعلومات من هذه الخبرات وسيوافق كل العلماء على أن السؤال ـ أي سؤال سواءً كان فلسفياً أو غير فلسفي والذي لا يمكن وضعه بصيغة يمكن اختبارها عن طريق التجربة (أو بعبارة مبسّطة التي لا يمكن وضعها في الشكل: إذا فعلت ذلك فماذا يحصل؟) هو ليس سؤالاً علمياً وهو خارج عن نطاق العلم.

أنا أدّعي سواءً إذا أردت لهذا الشيء أن يحدث أم لا ـ فماذا ستكون القيمة التي تتضمّنها النتيجة، وكيف تحكم على قيمة النتيجة (والتي هي الطرف الآخر من السؤال: هل يجب أن أقوم بذلك؟) التي يجب أن تقع خارج العلم لأنها ليس سؤالاً يمكنك أن تجيب عليه فقط عن طريق معرفة ماذا يحدث ـ إذ لا يزال عليك أن تحكم على الذي يحدث وبطريقة أخلاقية، ولهذا

السبب النظري فأنا أعتقد بوجود توافقٍ كامل بين وجهة النظر الأخلاقية ـ أو الجانب الأخلاقي للدين ـ والمعلومات العلمية.

وبالالتفات إلى الجانب الثالث من الدين ـ الجانب الإيحائي ـ أصل إلى السؤال المركزي الذي أريد أن أطرحه على اللجنة التخيلية، إن مصدر الإيحاء اليوم ـ بالنسبة للقوة والانشراح ـ في أي دين مرتبطٌ بصورة مباشرة بالجانب الميتافيزيقي، أي أن الإيحاء يأتي من العمل من أجل الإله ومن خلال العمل ضمن إرادته والشعور بالقرب منه، إن الروابط العاطفية بالرمز الأخلاقي ـ والمبنية بهذه الطريقة ـ تبدأ بالضعف بشدة عندما يظهر الشعور بالشك المتعلق بوجود الإله ولو بجزءٍ قليلٍ منه أي عندما يبدأ عدم الإيمان بالإله وبذلك تفشل هذه الطريقة الخاصة بالحصول على الإيحاء.

لا أعرف الجواب عن هذه المشكلة المحورية ـ مشكلة الحفاظ على القيمة الحقيقية للدين كمصدر للقوة والشجاعة بالنسبة لمعظم الناس بينما في نفس الوقت بدون الإيمان المطلق بالجوانب الميتافيزيقية.

تراث الحضارة الغربية

يبدو لي أن الحضارة العربية تقف بجوار تراثين عظيمين يتمثل أولهما بالروح العلمية للمغامرة، المغامرة في الاندفاع نحو المجهول، وهذا المجهول يجب أن يُعترف به على أنه

مجهول بهدف القيام باستكشافه والرغبة في بقاء الألغاز التي لا يمكن الإجابة عنها في الكون على ما هي عليه: أي الموقف الذي يقول أن كل شيء هو غير مؤكد، وألخّص ذلك وأسمّيه بتواضع المثقّف، والتراث العظيم الثاني هو الأخلاق الدينيَّة ـ المبنيَّة على الحب والأخوة بين كل الناس وقيمة الفرد ـ وخشوع الروح.

هذين التراثين منسجمين منطقياً بشكلٍ كامل ولكن المنطق ليس كل شيء فالمرء يحتاج إلى قلبه ليتبع فكرة ما وإذا أراد الناس الرجوع إلى الدين فما الذي يرجعون إليه؟ هل الكنيسة الحديثة هي مكان يُعطي الراحة لإنسانٍ يشك بالإله وأيضاً لإنسانٍ يؤمن بالإله؟ هل الكنيسة الحديثة مكانٌ يعطي الراحة والتشجيع لقيم مثل هذا الشك؟ هل عدم الحصول حتى الآن على القوة والراحة للمحافظة على قيم الأول أو الثاني من هذين التراثين المنسجمين بشكلٍ لا يتم فيه مهاجمة قيم الطرف الآخر؟ هل أن هذا الأمر لا يمكن تجنبه؟ كيف نستطيع أن نحصل على الإلهام لدعم هاتين الركيزتين للحضارة الغربية بحيث تقفان معاً بكامل عنفوانهما ولا يخاف أحدهما الآخر؟ هل هذه ليست القضية الرئيسية لعصرنا الحاضر؟

أضع هذه القضية أمام اللجنة.